

طرائف اللغة

بقلم مهدي أحمد خليل

المفتش بوزارة المعارف سابقا

تحت هذا العنوان سنكتب فصولا في سنن العرب في كلامها ، ومختلف لهجاتها وفي طرف من فقه لغتها ، وشرح بعض الالفاظ والجل التي استهم معناها ، وذكر ما يرادف العامى والدخيل ، ونحو ذلك مما يحتاج إليه طالبو الفقه فيها ، والراغبون في الوقوف على أسرارها .

تأريخ الكتب

التاريخ (في اللغة) : تعريف الوقت ، والتورخ مثله ، يقال أرخ الكتاب ليوم كذا وورخه يوم كذا ، أى وقته ، ويقال أيضا : أرخته أرخا ، فهو مأروخ وأرخته فهو مؤرخ .

وفي الاصطلاح : تعيين وقت الأحداث بإسناده الى وقت حدوث أمر عظيم . والتاريخ نوعان : شمسي ، وهو المبني على دوران الشمس ؛ وقمرى ، وهو المبني على دوران القمر . والثاني هو الذى يجرى به العمل عند الفقهاء

والتاريخ يحمل على الليالى دون الأيام ، لأن أول الشهر ليلة ، ولو حُمل على الأيام سقطت من الشهر ليلة ، ومن أجل هذا يراعى التأنيث فيه . وليس في العربية موضع يغاب فيه المؤنث على المذكر إلا في التاريخ ، وأما غيره فيغلب فيه المذكر على المؤنث ، فيقال : الزينات ومحمد اقتصدوا في مالهم ، والفواطم وحسن جادوا بما في أيديهم للعوزين ، وكذا تقول لرجل معه خمس نسوة : هذا سادس ستة ، أى أحد ستة : فتغلب المذكر على المؤنث وتثبت التاء ؛ وتقول : صمنا

منذ ثلاث ، فتغلب الليالي على الأيام وتحذف التاء . وإذا ميزت العدد بالليلة ألحقت التاء بصفتها ، تقول كُتِبَ لِاحِدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنَ الشَّهْرِ ، وَلِثَلَاثِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ أَوْ بَقِيَتْ ، وإذا ميزته بالليالي ألحقت بصفتها نون جمع النسوة فتقول : كُتِبَ لِأَرْبَعِ بَقِينَ ، وَلِعَشْرِ بَقِينَ ، على المختار ، لأن الأولى مراعاة اللفظ .

والمختار أن يقال في أول ليلة من الشهر : كُتِبَ عُغْرَةَ شَهْرٍ كَذَا ، وَمُسْتَهْلَةً وَمُهْلَةً ، أَوْ لِأَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْهُ ، أَوْ لِغُرَّتِهِ ، أَوْ لِأَمْسَتَهْلَةٍ ، وَمَنْعُوا أَنْ يُؤْرَخَ مَا يَكْتُبُ فِيهَا بِلَيْلَةٍ خَلَّتْ لِأَنَّهَا لَمْ تَمُضَ .

(عُغْرَةَ كُلِّ شَيْءٍ : أَوَّلُهُ . وَمُهْلٌ : اسم مفعول ، مِنْ أَهْلٍ الْهَلَالِ : ظَهَرَ . وَمُسْتَهْلٌ : اسم مفعول مِنْ اسْتَهْلَ الْهَلَالُ ظَهَرَ) .

وفي اليوم الأول من الشهر يقال : كُتِبَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرٍ كَذَا ؛ أَوْ لِأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرٍ كَذَا ، أَوْ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْهُ وَلِلَّيْلَةِ خَلَّتْ مِنْهُ . وفي الليلة الثانية يقال : كُتِبَ لِلَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ شَهْرٍ كَذَا . (ويجوز هذا الاستعمال إلى آخر ليلة من الشهر) . وفي ثاني الأيام يقال : لِلْيَاثَيْنِ خَلَّتَا . وفي ثالثها : لثَلَاثِ لَيَالٍ خَلَوْنَ ، وهكذا إلى عشر ليالٍ خَلَوْنَ ، بِإِرْجَاعِ التَّوْنِ الَّتِي هِيَ ضَمِيرُ الْجَمْعِ إِلَى الْجَمْعِ . (وذلك أولى من خات ، لأن مراعاة اللفظ أولى من مراعاة المعنى) . وفي اليوم الحادى عشر إلى الرابع عشر تقول : لِاحِدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ ، وَلِاثْنَتَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ ، وَلِأَرْبَعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ ، بِضَمِيرِ الْفَرْدِ الْمُسْتَكْنِ . (ويجوز خلون لهما على المعنى ، والأولى مراعاة اللفظ كما تقدم) .

وفي منتصف الشهر يقال : لِلنِّصْفِ مِنْ شَهْرٍ كَذَا ، وَهُوَ أَوَّلَى مِنْ أَنْ يُقَالَ : لِحَمْسِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ ، خَات وَمِنْ أَنْ يُقَالَ : لِحَمْسِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ بَقِيَتْ . وفي السادس عشر : لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ بَقِيَتْ ؛ بِإِفْرَادِ الضَّمِيرِ ، وَهَكَذَا إِلَى التَّاسِعِ عَشَرَ . وفي العشرين يقال : لِعَشْرِ لَيَالٍ بَقِينَ . (وهو أولى من بَقِيَتْ) . وفي الحادى

والعشرين يقال : لا إحدى عشرة ليلة بقيت إلى السابع والعشرين . (وذلك أولى من بقين) . وفي الثامن والعشرين : اللتين بقيتا . (إذا كان الشهر ثلاثين ليلة) . وفي التاسع والعشرين : الليلة بقيت (إذا كان الشهر ثلاثين ليلة) . وفي الليلة الأخيرة يقال : كُتب لآخر ليلة من شهر كذا أو سَلَخه ، ولا يقال : لليلة بقيت . لأن الكاتب لا يزال فيها . وفي آخر يوم من الشهر يقال : كتب آخر يوم من شهر كذا ، سَلَخه .

وسَلَخ : مصدر أقيم مقام الزمان ، يقال : سَلَخْنَا شهر كذا نَسَلَخْهُ وَنَسَلَخْهُ سَلَخًا : صرنا في آخر أيامه .

واللام فيما تقدم يقال لها لام الوقت ، أو لام التاريخ ، ومعناها الاختصاص ، وهو هنا على ثلاثة أضرب : الأول اختصاص الفعل بالزمان لوقوعه فيه ، نحو : كتبت لغرة شهر كذا ، الثاني اختصاصه به لوقوعه فيه ، نحو : كتبت لليلة خلت . لأن خلت تشعر بوقوع الكتابة بعد الليلة ، الثالث اختصاصه به لوقوعه قبله ، نحو : كتبت لليلة بقيت ، لأن بقيت تشعر بوقوع الفعل قبل الليلة . ويصح في جميع ما تقدم أن تقول مضت بدل خلت ، وأن تأتي بلام الاختصاص أو تحذفها . هذا وإن الأولى أن تستعمل خلت لأقل من النصف ، وبقيت لأكثر منه . وحاصل ما تقدم مذكور في قول ابن مالك في كافيته وهو :

وراع في التاريخ ذي الليالي لسبقها بليلة الهلال

فقل : خَلَوْنَ وَخَلَّتْ وَخَلَّتَا من بعد لام خافض ما أثبتا

وفوق عشر فضلوا خلت على خَلَوْنَ وَاَعْكَسَ في الذي قد سفلا

وغرة الشهر ومُسْتَهْلَةٌ أوله وهكذا مهلة

فواحد منها انصب بعد كُتِبَ أو قل لأولى ليلة منه نُصِبَ

وفي انقضا الأكثر قالوا بَقِيَتْ ثم بَقِينَ كَخَلَوْنَ وَخَلَّتْ

وسَلَخه قبل انسلاخه إذا ما آخرا عَنَيْتَ وَقَيْتَ الأذى

والأصل في التاريخ الاسلامي أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه تأتينا من أمير المؤمنين كتبٌ لاندري أيتها نعمل به ؛ فقد قرأنا صكاً (١) كتب فيه شعبان ، فلم ندر أي الشعبانين الماضي أم الآتي . وقيل : رفع لعمر صكٌ كتب فيه شعبان ، فقال أي شعبان هو ، ثم قال إن الأموال كثرت فينا ، وما قسمناه غير مؤقت فكيف التوصل إلى ضبطه ؟ فقال له ملك الاهواز ، وكان قد أُسِر في فتح فارس وأسلم على يد عمر : إن للعجم حساباً يسندونه إلى من غلب من الأكاسرة . ثم شرحه لهم وبين كيفيته . فقال عمر : ضعوا للناس تاريخاً يتعاملون به ويضبط أوقاتهم ، فذكر له تاريخ اليهود فما ارتضاه ، ثم تاريخ الفرس فما ارتضاه ، فقال : تؤرخ من لدن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم يَخْتَلَف فيها ، بخلاف مَبْعَثِهِ وولادته ، وأما وقت وفاته ، وإن تعيَّن ، فلا يحسن جعله أصلاً ، ووقت الهجرة وقت استقامة الاسلام ، وتوالي الفتوح ، وغلبة المسلمين وكانوا يُعَيِّنون قبل ذلك كل سنة باسم ما وقع فيها ، كسنة الإذن بالرحيل من مكة إلى المدينة ، وسنة الأمر بالقتال . وكانوا على عهده صلى الله عليه وسلم يؤرخون بسنة المَقْدَم وبأول شهر منها ، وهو ربيع الأول على الأصح .

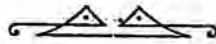
وقيل لم يكن في صدر الاسلام تاريخ إلى أن ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وافتتح بلاد العجم ودون (٢) الدواوين وجبى الخراج وأعطى الأعطية ، فقيل له ألا تؤرخ ؟ فقال : وما التاريخ قيل له : شيء . كانت عمله الأعاجم يكتبون في شهر كذا من سنة كذا ، فقال عمر : هذا حسن ، فأرخوا ، فقال قوم : نبدأ بالتاريخ من مَبْعَث الرسول ، وقال قوم : من وفاته ، وقال قوم : من الهجرة . ثم أجمعوا على الابتداء بالتاريخ من الهجرة ، ثم قالوا : بأي الشهر نبدأ ؟ فقال بعضهم : نبدأ من

(١) الصك : الكتاب الذي يكتب في الماملات والاقارير . (مصباح)

(٢) التدوين : جمع الصحف والكتب ، ومنها الديوان ، وهو مجمع الصحف والكتب . وكان يطلق في الأول على كتاب يجمع فيه أسامي الجيش وأهل العطية من بيت المال .

رمضان . وقال بعضهم : من المحرم لأنه وقت منصرف الناس من حجهم . وكانت الهجرة في شهر ربيع الأول . وكان مقدم الرسول المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت منه . فقدم التاريخ على الهجرة شهرين واثنتي عشرة ليلة ، وجعل من المحرم . وكانت العرب تؤرخ بالحوادث المشهورة كواقعة الفيل ^(١) ، وحرب الفجار ^(٢) ، وبناء الكعبة .

وقد ولد الرسول صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، وبين عام الفيل والفجار عشرون سنة (في أواخر القرن السادس للميلاد) ، وبين حرب الفجار وبناء الكعبة خمس عشرة سنة ، وبين بناء الكعبة ومبعث الرسول صلى الله عليه وسلم خمس سنين . والله أعلم .



(١) كان أبرهة الاشرم من ملوك اليمن ميالا إلى الديانة النصرانية ، وقد أراد أن يحول الحج من مكة إلى اليمن فامتنع العرب فجرد جيشاً لتخريب الحرم كان في مقدمته فيل عظيم ، ولما قاربوا مكة أرسل الله عليهم طيراً أبابيل (جماعات) ترميهم بحجارة من سجيل (طين محروق) فجعلهم كعصف (ورق زرع يابس) ما كول .

(٢) كانت بين قريش ومن معها من كنانة ، وكان معهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعمره عشرون سنة ، وقيس عيلان في الجاهلية ، وقد هزمت في نهايتها قيس ، وإنما سميت بالفجار لأنها كانت في الأشهر المحرم فيها القتال ، فلما قاتلوا فيها قالوا لجرنا ، ولم يكن في أيام العرب أشهر منها .